
تعليقات الشيخ صالح بن عبد الله العُصَيْمِي

على تفسير الفاتحة وقصار المفصل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤	العصر	٣	المقدمة
١٤	الهَمَزَة	٤	الفاتحة
١٤	الفيل	٦	الضحى
١٥	قُرَيْش	٧	الشرح
١٥	الماعون	٨	التين
١٦	الكوثر	٨	العلق
١٧	الكافرون	٩	القدر
١٨	النصر	١٠	البينة
١٨	المسد	١١	الزلزلة
٢٠	الإخلاص	١٢	العاديات
٢٠	الفلق	١٣	القارعة
٢٠	الناس	١٣	التكاثر

المقدمة

📌 آداب التصنيف التي ابتداءً بها المصنف - وفقه الله - :

- 1 البسملة .
- 2 والحمدلة .
- 3 والصلاة والسلام على النبي ﷺ وآله وصحبه .

📎 وهذه من آداب التصنيف اتفاقاً .

💎 مكنون هداه : أي الاطلاع على ما أدر فيه من الهدى .

📌 المنفعة المرجوة من معرفة معاني كلام الله :

- 1 راحة النفوس .
- 2 حوز القلوب طمأنينتها ، وسره هو امتلاؤها بذكر الله وأجله هو القرآن الكريم .

📌 هداية القرآن تشمل هدايتان :

- 1 هداية عامة للناس أجمعين .
- 2 هداية خاصة لعباده المؤمنين .

👉 والفرق بينهما أن الاولى لإقامة الحجة والثانية لإيضاح الحجة .

📖 قوله : "ألا وإن قصار مفصله اللطيف من الضحى إلى آخر المصحف الشريف محلّ عناية جمهور المسلمين" ، لأمرين :

- 1 قصر الآيات .
- 2 وعذوبة السياق .

🔹 مع ما يقتزن بذلك من فضائل مخصوصة ومقاصد منصوبة .

✅ فمن رام أن يصيب من التفسير خطأً جامعاً اعتنى بطرفيه وهما (المفصل وسورة البقرة) .

🔹 فإن المفصل يجمع جلّ ما يتعلق من خطاب الشرع الخبري .

🔹 والبقرة تجمع جلّ ما يتعلق بخطاب الشرع الطلبي .

🖋 زاد المصنف تفسير سورة الفاتحة لما لها من مقام عظيم ومنزل كريم ، فهي ركن الصلاة الأعظم .

💎 والفاتحة لكل خير فاتحة .

الفاتحة

📌 ذكر المصنف -وَفَقَّهُ اللهُ- حديثين كالتقدمة بين يدي تفسير الفاتحة ، وقع في الأول منهما ذكر الفاتحة باسم السبع المثاني ،
♦ وسُميت الفاتحة بالسبع المثاني لأمرين :

1 يتعلق بالألفاظ والمباني ، فإن بعضها يتبع بعضاً ويشئى بعضها على بعض فهي متتابعة .

2 يتعلق بالحقائق والمعاني ، فقد أثبت الله فيها أنواعاً متقابلة من البيان

♦ نحو مقابلة الخبر بالإنشاء في قوله ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وقوله ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

♦ ومقابلة صفات الجمال بصفات الجلال : فصفات الجمال في قوله ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)
وصفات الجلال في قوله ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .

📌 ووصفها ﷺ في قوله : "والقرآن العظيم" ، وهو وصف للفاتحة في أصح القولين ، فتقدير الكلام هي 'المقروء العظيم' .

👉 ويقويه أن الفاتحة أعظم سورة في القرآن الكريم .

🖋 في حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- من فضل الفاتحة أنها سميت بالصلاة وهو من تسمية الكل بالجزء لجلالها فيها ،
👉 فهي بمنزلة الصلاة كلها .

📌 سورة الفاتحة جمعت بين : 1 العهد (هذا بيني وبين عبدي) . 2 والوعد (هذا لعبدي ولعبدي ما سأل) .

📎 وهذا العهد والوعد هو المقصود في دعاء سيد الاستغفار .

🖋 قوله : «مقصود المبسمل في قوله : بسم الله الرحمن الرحيم : اقرأ» الجار والمجرور في البسمة متعلق بمحذوف مؤخر تقديره : اقرأ .

🖋 الفرق بين اسم الرحمن واسم الرحيم أن :

♦ اسم الرحمن يتعلق بذاته سبحانه . ♦ واسم الرحيم يتعلق بخلقه الذين وقعت عليهم الرحمة .

📎 أشار إليها شيخنا بقوله : ورحمة الله مهما علقت . . . بذاته فالاسم رحمن ثبت

أو علقت بخلقه الذي رحِم . . . فسمه الرحيم فاز من سلم

وقوله "اسم اضافي": أي من الأسماء الإلهية المضافة . 

وأسماء الله عزوجل باعتبار الأفراد والإضافة تنقسم إلى قسمين : 

1 أسماء إلهية مفردة ، مثل الله ، الرحمن ، الرحيم .

2 أسماء إلهية مضافة ، مثل ربّ العالمين ، مالك الملك .

👉 ذَكَرَ الأسماء المضافة ونصَّ عليها جماعة من أهل العلم منهم :  الأصبهاني في كتاب الحُجَّة

 وابن تيمية في كتاب الفتاوى المصرية

 وابن باز في بعض أجوبته .

وقوله : «وهو يوم الحساب والجزاء على الأعمال» ، الحساب والجزاء حقيقتان متلازمتان جعلتا دليلاً على يوم القيامة . 

👉 فإن الحساب دليلٌ عليه باعتبار مبدؤه . 👉 والجزاء دليلٌ عليه باعتبار منتهاه .

وقوله : "أي نخصك وحدك بالعبادة ، ونستعين بك وحدك في جميع أمورنا" . 

هذه الوجدانية المذكورة في طرفي الآية = العبادة والاستعانة ، مستفادة من تقديم ما حقه التأخير ، فتقدير الجملة (نعبدك ونستعين بك) فقُدِّمَ الضمير "إياك" لتحصيل المراد المذكور وهو إفراده سبحانه بالوجدانية في عبادتنا واستعانتنا .

في الآيتين الأخيرتين من الفاتحة إعلام بأن الخلق بالنسبة للصراط المستقيم طائفتان : 

1 طائفة سالكة له سائرة عليه ، وهم المُنْعَمُ عليهم من المؤمنين . 2 طائفة مائلة عنه تاركة له .

والطائفة الثانية خطؤها ناشئ من أمرين :  أحدهما : من العلم بترك العمل به .  والآخر : بابتداع عمل بلا علم . 

❖ فاليهود من الطائفة الأولى والنصارى من الثانية ، ثم كل من تشبه بهم من هذه الأمة فيما هم فيه من الخطأ أصابه من العدول عن الصراط بقدر خطئه .

 قال سفيان بن عيينه : من ترك العمل بالعلم من علماءنا ففيه شبه من اليهود

ومن عمل من عبادنا بلا علم ففيه شبه من النصارى .

الضحى

قوله : « فلم يقيم ليلتين أو ثلاثاً » أي : لم يصب حظه من دأبه في قيام الليل فانقطع عن القيام في الليل ليلتين أو ثلاثاً .

ولفظ الضحى له في القرآن معنيان :

- 1 النهار كله ، إذا وقع مقابلاً لليل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ .
- 2 أول النهار إذا لم يقع مقابلاً لليل بل وقع مقابلاً العشية -أي آخر النهار- ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ .

قوله : « وإلى هنا تم جواب القسم بمثبتين بعد منفيتين »

- أما المنفيان : ▼ فالأول : في قوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾ أي : ما تركك .
- ▼ وأما الآخر : ففي قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَلَى ﴾ أي : وما أبغض .
- أما المثبتان : ◆ فالأول في قوله تعالى : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ .
- ◆ والثاني : في قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ .

قوله : فقال : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ ﴾ استفهام تقرير ، 🖱 وهو الاستفهام المطلوب إثبات المعنى المذكور معه ، ويقابله الاستفهام الاستنكاري ، 🖱 وهو الاستفهام المطلوب إنكار المعنى المذكور معه .

✓ الضلال الذي وجد فيه النبي ﷺ هو المذكور في قوله تعالى : ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ : أي غافلاً عما يراد بك من الرسالة ، وهو أولى ما بُين به هذا الضلال ، فإن أولى ما يفسر به القرآن هو القرآن ، وخصوصاً ما يمسّ مقاماً محظوراً على الخلق كمقام النبوة .

قوله : « بما ساق إليك من الرزق ، وقنّعك به » في تفسير الغنى : بيان أن الغنى التام مركب من شيئين :

- 1 أحدهما : رزق يُحصل به العبد مصالحه .
- 2 والثاني : قناعة تقطع عن قلبه الطمع فيما سواه .

الشرح

ذكر المصنف في بيان هذه الآية : أن الشرح الواقع على النبي ﷺ في صدره نوعان :

1 النوع الأول : شرح جسماني ؛ إذ شُقَّ صدره ﷺ مرتين :

♦ أولاهما : في صغره لما كان مسترضعاً في بني سعد .

♦ والأخرى : ليلة أُسري به ﷺ من مكة إلى بيت المقدس .

2 والنوع الثاني : شرح روحاني ، ومحلّه روح النبي ﷺ وهو ما حُشي به قلبه ﷺ من الكمالات الدينية والمعارف الإيمانية التي اشتمل عليها إدراكه حقائق الدين .

والشرح الجسماني توطئة للشرح الروحاني ، فإن الملكين جبريل ومن معه لما شقَّ صدره ﷺ استخرجوا من قلبه قطعة هي حظ الشيطان منه ، ثم حشوا قلبه ليلة الاسراء بما حشوا به العلم والإيمان .

👉 حيث قاما بغسل قلبه بماء زمزم وهذا أصل لطيف في بيان حكم التبرك بالغسل بماء زمزم .

التين

📌 ذكر المصنف -وَفَقَّهُ اللهُ- أن المراد من ذِكْر التين والزيتون ليس عين الشجرتين ؛ بل إرادة الأرض التي تنبت فيها هاتان الشجرتان وهي أرض الشام بقريئة أن ما بعدها ذِكْر لمواضع من الأرض ، فالمناسب أن تكون الآية الأولى متعلقة ببلد .

🖋 وهذه المواضع من الأرض فيها أكثر نبات الأنبياء ، والتعبير بالأكثر هو الصحيح للقطع بوجود أنبياء في غير هذه المواضع من الأرض ، ككون إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان مبتدأ أمره في بابل المعروفة من أرض العراق .

📖 قوله : « ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ في نار جهنم إن كفر»

اختيار كون السُّفل المذكور في الآية هو الرد إلى جهنم هو المناسب في مقابل الامتنان بجعل الإنسان في أحسن تقويم ، فَجَعَلَهُ في أحسن تقويم يناسبه إن كفر ولم يشكر نعمة الله عليه فيما أحسن إليه من التقويم هو أن يرده الله إلى جهنم .

✅ والتقويم الأحسن الذي امتنَّ الله به على الخلق نوعان :

1 أحدهما : التقويم الأحسن له في صورته الظاهرة ، وهو جعله في أحسن صورة .

2 والآخر : التقويم الأحسن له في صورته الباطنة ، وهو جعله على الفطرة .

📖 قوله في قوله تعالى : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أي لهم أجر لا يشوبه كدر المنّ ، كيف يأتلف هذا مع أن الله من أسماء المنان؟

📖 وجوابه : أن المنّ بالنعمة نوعان :

1 المنّ لإظهارها تفضلاً ، ودعوة العبد لشكرها ، وهذا يكون من الله ، فهو الذي يتفضل وهو الذي يستحق شكرها .

2 المنّ بها للاستعلاء بها على الخلق ، وهذا الذي يكون بين الخلق ويكون فيه الكدر .

العَلَق

📖 قوله وكان ذلك في غار جبل حراء بمكة ،

📢 مُعَلِّم بأن اسم الجبل هو جبل حراء ، وأن الغار يضاف إليه ، فقولهم غار حراء على تقدير محذوف أصله غار جبل حراء .

🚫 وأما جعل اسم الجبل جبل النور ، واسم الغار غار حراء فغلط محض .

📎 فإن حراء اسم للجبل كله ، وتسميته بجبل النور تسمية حادثة ، وجعل الغار مخصوصاً باسم حراء أحدث وأحدث ،

🚫 فهي مما غلب عند المتأخرين وكلاهما غلط .

💎 في الآية قال ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ ، والأصل في الإنسان أنه مخلوق من علقه ، مبدؤه واحد ، وجمعه باعتبار جنس الإنسان المناسب للامتنان في سورة العلق .

💎 فإن فاتحة سورة العلق هي لإظهار منّة الله على خلقه . 💡 المنّة : هي النعمة العظيمة .

القدر

الإِنزال المذكور في هذه السورة ليس هو إِنْزال القرآن على النبي ﷺ ، بل إِنْزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا .

إِنْزال القرآن نوعان :

1 إِنْزال كتابة ، من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا .

2 إِنْزال تكلم ، وهو إِنْزاله على النبي ﷺ مفرقاً حسب الحوادث والوقائع .

← والمذكور منهما في هذه السورة هو الأول ، وسيأتي حديث ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً في ذلك .

ذكر المصنف في تفسير هذه السورة أن تعظيم القرآن وقع فيها من جهتين :

1 إِسناد إِنْزاله إلى الله ، في قوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ ، فالْمُنْزَلُ له هو الله عزوجل .

2 في تشريفه بالإِنْزال في زمن مُعْظَم هو ليلة القدر في قوله : ﴿ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ .

قوله فالقيام فيها إيماناً واحتساباً خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر يشتمل على تنبيهين :

1 أن الخيرية بين تلك الليلة وبين ألف شهر ، هو مع شهور ليست فيها ليلة القدر .

2 أن العمل الذي علقت به خيريتها هو القيام فيها إيماناً واحتساباً ، أي صلاة الليل فيها .

البيئة

💡 ذكر المصنف وفقه الله أن الصحف المطهرة المذكورة في قوله تعالى ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ هي

👉 صحف اللوح المحفوظ ، فإنها الموصوفة بذلك في خطاب الشرع ،👉 وغيرها يسمى صحف طاهرة .

📎 وتلاوته ﷺ لما فيها باعتبار ما أنزل عليه من القرآن الكريم ، فإن القرآن الكريم مثبت في صحف اللوح المحفوظ ثم أنزل على النبي ﷺ ، فكان متلوّه من الصحف المطهرة هو القرآن الكريم .

💎 الإخلاص شرعاً : تصفية القلب من إرادة غير الله .

📖 إخلاصنا لله صفّ القلب من إرادة سواه فاحذر يا فطن

💡 قوله في صفة أنهار الجنة : (على وجه أرضها في غير شق) أي : في غير حفر ولا أخدود .

📎 فأنهار الجنة ليست كأنهار الدنيا ، فأنهار الدنيا يجري ماؤها في شق وحفر ، وأما أنهار الجنة فإنها تجري على وجه الأرض بلا أخدود .

💎 وهذا هو التفسير المعروف عن التابعين ، ولا يعرف عن من قبلهم ، فيعول عليه ولا يعول على غيره ، لأن التابعين أخذوا معاني القرآن الكريم كما تقدم في مقدمة أصول التفسير عن الصحابة ، فإذا أجمعوا على شيء كان حجة ومنه هذا الموضع .

📖 ويقويه حديث أنس في مسند أحمد بإسناد صحيح أن النبي ﷺ لما ذكر نهر الكوثر قال فإذا هو نهر يجري ولم يشق شقاً .

👉 والكوثر أم أنهار الجنة فسائر أنهار الجنة تابعة له في وصفه .

الزلزلة

الزلزلة التي تنتاب الأرض نوعان :

1 ♦ زلزلة تتقيد بناحية من نواحيها ، فتكون في جهة دون أخرى ، وهي كل زلزلة قبل يوم القيامة .

2 ♦ زلزلة تعم الأرض كلها ، وهي الزلزلة التي تكون يوم القيامة فقط .

← فالزلازل التي تكون قبل يوم القيامة خاصة ، والزلزلة التي تكون يوم القيامة كبرى .

📎 والصلة بينهما أنها مقدمة للزلزلة الكبرى ، لذلك ثبت في الأحاديث من علامات يوم القيامة كثرة الزلازل .

ذكر المصنف وفقه الله في تفسير الفعل (يَرَهُ) في الآيتين ، قوله 🖱 يره وير ثوابه في الآخرة ، وقوله 🖱 يره وير عقابه فيها ، وهو معلم بأن الرؤية تشمل أمرين :

1 ▼ رؤية العبد عمله .

2 ▼ رؤيته جزاء عمله .

← فيرى العبد عمله فيما كتب في الصحف ، ثم يرى جزائه بادياً له ، من نعيم أو عذاب مقيم .

العاديات

تفسير الخير هنا بأنه المال ، لأن المال يسمى خيراً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا ﴾
أي مالاً .

وهو من الخير المقيد المتعلق بالأموال الدنيوية :

فإنه يكون خيراً إذا جُمعَ من حق وأُعطي في حق .

ويكون شراً إذا جُمعَ من غير حق وأُعطي في غير حق .

ذكر المصنف في تفسير هذه الآية ﴿ إِنْ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ ، أي مطلع على أعمالهم ومجازيهم عليها ، فخبّره سبحانه وتعالى هنا يجمع أمرين :

1 الاطلاع على العمل .

2 والجزاء عليه .

ومن طرائق القرآن أنه يشار تارة إلى الجزاء بالعلم ، كقوله تعالى : ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ﴾ ،

فالمقصود بالعلم هنا علم الجزاء ؛ لأنه لا معنى لاختصاص مجرد إدراك الله سبحانه وتعالى فعلنا هذا ، فإنه يعلم كل شيء منا .

فالمقصود من تخصيصه بالخبر بعلم الله عز وجل هو الإشارة إلى علم جزائه .

ولذلك هذه الآية التي ذكرناها ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر ﴾ من الأدلة على أن النذر عبادة ممدوحة مطلوبة في الشرع على الأوصاف الثلاثة التي ذكرناها .

القارعة

قوله : «وفي ذلك اليوم تُنصب الموازين» تقدم أن الميزان في أصح الأقوال واحد ، ووقع في القرآن مجموعاً باعتبار تعدد الموزون فيه .

والدليل على أنه مفرد هو قوله ﷺ : «كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان الى الرحمن ثقيلتان في الميزان» رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قوله : «من الوقود عليها» بضم الواو ، أي : من الإيقاد عليها ، وهو الإشعال .
أما ما تُشعل به فإنه يُسمى وقوداً «بفتح الواو» ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ .

التكاثر

ذكر المصنف وفقه الله الأعيان التي يقع فيها التكاثر في قوله : «من النساء ، والبنين ، والقناطر المقنطرة . .» إلى آخره أخذاً من الوارد في قوله تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ﴾ وبيان مُضْمَن آية أخرى خير من اختراع كلام ينشئه المرء ، فالأعيان التي يقع فيها التكاثر هي التي ذكر الله أنه زين للناس حبها شهوةً ، فمحبته هذه الأعيان شهوة مغروسة في الإنسان في أصل فطرته ، وهي مأذونة بأصلها .

لكن قال الله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾ وهنا هو في مقام الدم لها فهم اتبعوا الشهوات -أي بالاستكثار منها- وجعلوها حاكمةً على النفس متحكمةً فيها مسيرة لها .

✓ مراتب الإدراك التي ذكرت في القرآن ثلاث :

1 علم اليقين ، وهو العلم الثابت في القلب .

2 عين اليقين ، وهو العلم المشاهد المدرك بالحوس .

3 حق اليقين ، وهو العلم الناشئ عن الوصول الى المعلوم .

العصر

📖 ما ذكره المصنف من أن العصر هو الوقت المعروف في آخر النهار قبل غروب الشمس داعيه تقديم الترجيح بوحدة من قرائن الترجيح فإن المعاني المشتركة في كلمات القرآن الكريم يرجح واحد منها على آخر بقرينة ، منها لغة القرآن والسنة ، ذكره ابن تيمية الحفيد في مقدمة أصول التفسير .

✍ والعصر في لغة الشرع إذا أطلق يراد به هذا المعنى الكائن آخر النهار ، ومنه سميت الصلاة التي فيه صلاة العصر إضافة إليه .

الهمزة

📖 للعرب خمس كلمات للتهديد والوعيد هي :

1 ويل . 2 ويح . 3 ويك . 4 ويس . 5 ويب .

👉 ذكره ابن خالويه ، وقد جمعها شيخنا بنظمه فقال : ويلٌ وويحٌ ثم ويكٌ ويسٌ . . . ويبٌ لتهديدٍ تقال الخمسُ

▼ والحديث المروي بأن "ويل" وادٍ في جهنم لا يصح .

✍ قوله : «وَأَلَمَ حَرُّ الْقُلُوبِ أَشَدَّ مِنْ أَلَمِ غَيْرِهَا لِلطُّفْهَاءِ»

👉 أي أن الألم الذي يصل الى القلب إذا بلغته النار يكون أشدَّ من غيره للطف القلب .
وقوى تخصيصه بالعذاب كونه مبدأ الفكر والإرادة التي أوقعت العبد في استحقاق العذاب .

الفيل

✍ قوله وفقه الله : «وكان هذا عام مولد النبي ﷺ» أي : موافقاً وقوع ولادته الشريفة ﷺ ، ويستفاد منه أن أصل ذكر ميلاد النبي ﷺ في القرآن هو في سورة الفيل لما بين الواقعتين من التلازم .

وجعلت تلك الواقعة توطئة لميلاد النبي ﷺ لتحفظه العرب ، فإن العرب تحفظ تواريخ سنينها بما يقع من الحوادث فيها .

✅ فلما اقترنت ولادته ﷺ ، حفظت وعرفت العرب السنة التي ولد فيها النبي ﷺ .

قريش

قوله : «وهي رحلة تجارتهم في الشتاء لليمن ، وفي الصيف للشام» . 

لملائمة الحال لذلك الارتحال ، فكانوا يتخبرون بأن يذهبوا بتجارتهم إلى الشام في الصيف لأجل برودتها ، ويتخبرون ذهابهم بتجارتهم في الشتاء إلى اليمن ليتخبروا دفئها ، والمراد باليمن هنا هو اليمن الأسفل وهو إقليم تهامة الذي يمتد اليوم بين البلدين السعودية واليمن .

الماعون

قوله : «والسهو عن الصلاة .» إلى آخره فيه بيان نوعي السهو المتعلق بالصلاة ، 

فإن سهو الصلاة نوعان : 

1 أحدهما : سهو في الصلاة ، وهو ذهول القلب عن معلوم فيها بزيادة أو نقصان أو شك .

2 والآخر : ذهول عن الصلاة ، وهو الغفلة عنها بعدم أدائها في وقتها وترك إقامتها على وجهها .

والفرق بينهما : أن الأول يُعذر فيه العبد ، وأما الثاني فإنه مذموم يُنهى عنه العبد . 

قوله : «فيظهرون أعمالهم الصالحة .» إلى آخره فيه بيان حقيقة الرياء ؛ أنه إظهار العبد عمله ليراه الناس فيحمدوه عليه ، فإن قصد أن يسمَعوه سُمي تسميعاً . 

فالفرق بين الرياء والتسميع هو بالنظر إلى متعلّقهما ؛ فالرياء متعلّقه الرؤية ، والتسميع متعلّقه السماع . 

الكوثر

قوله : وهو نهر في الجنة ، ومنه يَشْخَبُ ميزابان يصبان في حوض النبي ﷺ في عَرَصَات يوم القيامة ، صح هذا الوصف عند مسلم في صحيحه .

وقوله فيه يشخب : الشَّخْبُ هو الجري بانحباس وشدة .

ومنه شَخْبُ الحليب إذا أُريد إخراجُه من ضرع بهيمة الأنعام ، فإنه يخرج شخباً ، أي بانحباس وشدة .

وذكر المصنف تفسير الكوثر بنهر في الجنة لما جاء من ذلك في الأحاديث الصحاح ومنها ما ذكر .

وهو أحسن من القول الآخر أنه الخير الكثير ، وإن كان الخير الكثير أعم ، فإن من أفراد الخير النهر .

لأن تفسير الآية بالنهر أصح لأمرين :

1 أن الخير الكثير في الجنة هو فضل الله على كل من دخل الجنة ، فلا يختص بالنبي ﷺ .

وإن كان يُحبا بما لا يحظى به غيره من أنواع النعيم .

2 أنه أبين في الامتنان عليه ﷺ بأن يكون له ما ليس لغيره .

كل من أبغض شيئاً يتعلق بالنبي ﷺ فجزاءه قطع الخير عنه .

والذي يتعلق به بغض النبي ﷺ شيئان :

1 بغض شخصه . 2 بغض هديه .

فكلاهما مما يُعاب ويُلام العبد عليه ويُنهى عنه .

فإننا أمرنا بحبه ﷺ في شخصه ، لما امتن الله عز وجل عليه وعطينا بجعله رسول من الله إلينا .

وأمرنا أن نتبع هديه ﷺ وأن نطيعه فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ وقال ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ .

الكافرون

💎 بين المصنف الفرق بين الإضافتين في قوله ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

📌 فإن الله في الآية أضاف للمشركين ديناً ، وأضاف للنبي ﷺ ديناً .

💡 وحُذِفَتْ ياء الإضافة عند جمهور القراء وقرأ يعقوب بالإضافة ﴿وَلِيَ دِينِي﴾ .

💎 والفرق بين الإضافتين :

➡ أن دين الرسول ﷺ حمله عليه الهدى فاتبعه .

➡ وأما دين المشركين فحملهم عليه الهوى فاحتملوه .

💡 فدين النبي ﷺ وحي .

💡 ودين أولئك نتاج الأهواء واتباع الشياطين .

📖 ومقصود هذه السورة أمران :

1 ▼ إبطال دين المشركين .

2 ▼ تأسيسهم من موافقة النبي ﷺ لهم ، فهو يُخبرهم بأنه لا أمل أن يوافقهم على دينهم .

💎 وإذا كان هذان الأمران هما مقصودا السورة ، ➡ فإن الآية الأخيرة تكون لإعلان البراءة .

📢 فقولهم لكم دينكم ولي دين ، أي لكم دينكم ولي ديني فأنا بريء من دينكم كما أنكم بريئون من ديني .

🚫 ومن الفهم السقيمة بأخرة توهم أن هذه الآية تدل على الاختيار بأن لكل أحد دينه .

🚫 ويعبرون عنهم بقوله إن الله كفل في هذه الآية حرية الاختيار في الإسلام أو الكفر ، وهذا قول على الله بغير علم .

➡ فإن هذه الآية ليست لتترك الاختيار للخلق ، أي ليختاروا إسلام أو كفراً ، فالآية في بيان البراءة من دين المشركين ولزوم دين المسلمين الذي جاءت به الرسل .

النصر

💡 ذكر المصنف وفقه الله أن هذه السورة مشتملة على الإشارة إلى دنو أجل النبي ﷺ ، استنبط هذا المعنى عمر بن الخطاب وابن عباس في حديث طويل في الصحيحين .

💎 فتكون وفاة النبي ﷺ وميلاده جاءتا في قصار المفصل .

📌 فميلاده جاء في سورة الفيل . 📌 ووفاته ﷺ جاءت في سورة النصر .

📌 وأشرت إلى ذلك ببيت وهو : رسولنا ميلاده في الفيل وموته في النصر في التنزيل

💡 فهاتان السورتان فيهما ميلاد النبي ﷺ ووفاته ، وهذا من دلائل ما ذكرت لكم أن المفصل يشتمل على عظم ما يتعلق بالحكم الشرعي الخبري .

💎 ذكر المصنف وفقه الله في تفسير توابا قوله : « يوفق الخلق للتوبة ويقبلها منهم » ، فتوبة الله على عباده تتضمن أمرين :

1 📌 توفيقهم إليها ، فييسر لهم سبيل التوبة .

2 📌 قبولها منهم بعد صدورها ، فإذا تابوا إلى الله سبحانه وتعالى قبل توبتهم .

🕒 فسمي سبحانه وتعالى توابا بهذا ، ذكره ابن تيمية الحفيد في قاعدة التوبة .

المسد

📌 من مواقع فهم خطاب الشرع ملاحظة ما يجري فيه من المقابلة .

📌 ومنه في هذه السورة مقابلة الله عز وجل بين أبي لهب وامرأته :

📌 فإن الله ذكر أبا لهب بما يعرف به فقال : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ .

📌 وذكر امرأة أبي لهب بغير ما يدل عليها ، فذكرها مبهمة ، فقال : ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ .

💎 فأما ذكر أبي لهب باسمه فثلاثة أمور :

1 ما في كنيته من الإشارة إلى عذابه ، وهو اللهب . 💡 واللهب : هو ما يصطلي من النار .

2 مبالغة في ترغيمه وإذلاله ، إذ يذكر بما يُعظم به ثم يُهان . ✅ كقوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ .

📌 فإن الكنية عند العرب للتكريم ، فإذا وقعت في موقع المهانة كان من أشد المهانة لمن ذكر بها .

3 لأنه الاسم الذي كان يُعرف به ، فهو ممن قالوا فيه كنيته هي اسمه ، 🖱️ وما روي أن أسمه عبدالكعبة هو خلاف المشهور ، فالمشهور هو أن كنيته هي اسمه .

💎 وأما إبهام امرأته ، فوقع لثلاثة أمور :

1 لما في اسمها من التمليح الذي لا يُناسب العذاب ، فإنه يقال لها أم جميل .

2 إن عادة العرب ذكرها المرأة على وجه الإبهام ، 🖱️ ذكره ابن جزي في غير هذا الموضع من تفسيره .

💡 فلم يأتي في القرآن الكريم تسمية امرأة سوى مريم ، 🖱️ لأجل المنفعة من تسميتها بذكر ولدها عيسى وأنه لا والد له .

📖 فالجاري في عرف العرب المبالغة في صيانة المرأة ، لا الخوف من عارها كما يقوله من لا يعرف سنن العرب .

📖 فالعربي لا يأنف من ذكر اسم أمه أو أخته لأجل أنها عار ، وإنما من أجل المبالغة في صيانتها .

📖 فهذا هو مأخذهم في عدم ذكر اسمها ، فالأصل صون النساء عن ذكر أسمائهن حفظاً لهن وغيره عليهن مع الفخر بهن .

📖 فإن احتيج إلى ذكر أسمائهن فلا بأس .

📖 كما في الصحيح أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال للنبي ﷺ ، من أحب الناس إليك؟ فقال : عائشة .

💎 هذا إذا وُجدت الحاجة صرح بذلك ، أما الابتداء بلا حاجة فهذا على خلاف سنن العرب الذي جاء الشرع على وفقه .

? طيب إذا قرر إنسان من هذا الحديث من أحب الناس إليك قال عائشة ، قال إن الإنسان لا ينبغي أن يستحي أنه يقول أنا أحب زوجتي فلانة ، استنباطه صحيح أم خطأ؟

✅ استنباطه صحيح إذا كان في مقام يقتضي ذلك ، كأن تكون بينه وبينها خصومة ، فتجري فيها حكومة بحكم من أهله وحكم من أهلها فيقول مثل هذا .

🚫 وأما أن يبتدأ بالحديث هذا ، فهذا على غير سنن الشرع ولا ما كانت عليه العرب .

3 💎 إن المرأة تابعة زوجها ولذلك ذكرها بالإضافة إليه فقال : ﴿ وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ ﴾ فجعلها مضافة إليه بالضمير .

📌 والمقصود بتبعيتها كونها في كنفه ورعايته ، لا في سجنه ومهانتها ، فالشرع لم يأت بهذا ، وإنما أتى بأن تكون المرأة تابعة للرجل إذا كان حريصاً على إكرامها وصيانتها وحفظها .

🚫 وأما عدا هذا من الأفهام التي تكون عند الناس من أهل اليمين أو من أهل الشمال فهي فهم سقيمة .

الإخلاص

صمدانية الله تجمع معنيين : 1 كماله وسؤدده في نفسه . 2 توجه الخلق إليه في ابتغاء حوائجهم .

الفلق

ومعنى «لم يُر مثلهن قط» أي : في الاستعاذة بهن .

معناه أن من خاف شيئاً فأكمل ما يتعوذ به أن يقرأ سورة الفلق والناس على نية الحفظ والحماية ، فإذا خفت عدواً أو غيره فأكمل من أن تقول أعوذ بالله منه أن تقرأ هاتين السورتين على نية حفظ الله عز وجل لك من شره ، فإن الصادق المصدوق عليه السلام قال لم يُر مثلهن ، أي لا شيء يعدلهن في الاستعاذة .

الذي ذكره المصنف في بيان معنى الحديث أن قوله عليه السلام لما نظر إلى القمر ، يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا ، يريد الليل .

وجعل القمر علامة له ، فإن الذي تدل عليه دلائل الشرع أن محل الشر هو الليل ، ولو في زمن لا يظهر فيه القمر ، بل أشد ما يكون الشر بالليل إذا لم يظهر القمر لشدة الظلمة .

قوله في الجملة «يَسْتَعِنَّ عَلَى سحرهن بالنفخ مع ريق لطيفة» تفسير للنفث .

أن النفث نفخ معه ريق لطيفة ، فليس نفخ خالصاً .

فالهواء الخالص يسمى نفخاً .

الناس

قوله ومحل وسوسته صدور الخلق من الجنة والناس ، أي أن إلقاءه يكون في صدور الجنة والناس .

فالسوسة : إلقاء باطن يحمل على التشبیط عن الخير والرغبة في الشر ، وهي من أسلحة شياطين الجن .

الوشوشة : هي إلقاء ظاهر للشر على وجه خفي أيضاً ، وهي من أسلحة شياطين الإنس .

